

الآية - 31 39 من سورة البقرة

من الآية 31 إلى 39 من سورة البقرة .

{ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين }

(وعلم آدم) أي علم الله سبحانه آدم ، وهو نبيه ، أبو البشر عليه السلام .

(الأسماء كلها) أسماء كل شيء .

(ثم عرضهم على الملائكة) أي عرض الله أصحاب الأسماء على الملائكة.

(فقال) الله سبحانه مكلماً للملائكة .

(أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) أخبروني بأسماء من عرضتهم عليكم أيها الملائكة إن كنتم صادقين أن لديكم علماً بالأشياء .

{ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم }

(قالوا) أي الملائكة إقراراً بالعجز .

(سبحانك) التسبيح هو التنزيه ، أي ننزهك أن يحيط أحد بشيء من علمك إلا بما تشاء .

(إنك أنت العليم الحكيم) العليم : على وزن فعيل ، من أبنية المبالغة ؛ ذو العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً لما كان وما يكون من أفعاله وأفعال خلقه .

والحكيم : ذو الحكمة البالغة . والحكمة وضع الشيء في موضعه اللائق به .

وللحكيم معنى آخر ، وهو ذو الحكم والسلطان التام .

{ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما نبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تدون وما كنتم تكتمون } .

(قال) الله تبارك وتعالى .

(يا آدم أنبئهم) أي أخبر الملائكة .

(بأسمائهم) يعني : بأسماء الذين عرضهم على الملائكة .

(فلما أنبأهم بأسمائهم) فلما أخبر آدم الملائكة بأسماء الذين عرضهم الله على الملائكة .

(قال) الله تبارك وتعالى .

(ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) قال الله تبارك وتعالى لملائكته معاتباً لهم : لقد أخبرتكم أني أعلم ما خفي عنكم في السموات والأرض .

(وأعلم ما تدون) أي وأعلم - مع علمي غيب السموات والأرض - ما تظهرون بألسنتكم .

(وما تكتمون) وما تخفونه في أنفسكم ، فلا يخفى عليّ شيء .

قال ابن كثير - رحمه الله : - " هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم ، وهذا كان بعد سجودهم له .

وإنما قدم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوا عن ذلك ، فأخبرهم تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ؛ ولهذا ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم .

{ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين } .

(وإذ قلنا للملائكة) أي قال الله تبارك وتعالى لملائكته ، والجمع للتعظيم .

(اسجدوا لآدم فسجدوا) أمر الله تبارك وتعالى لملائكته بالسجود لآدم عليه السلام فأطاعوا وسجدوا جميعاً إلا إبليس . فكانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ؛ أكرم الله آدم بها أن أسجد له الملائكة .

قال الطبري : " وكان سجود الملائكة لآدم تكريماً لآدم ، وطاعة لله ، لا عبادة لآدم " .

(إبليس) هو أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس .

(أبى) أي : امتنع .

(واستكبر) أي تكبر عن السجود .

(وكان من الكافرين) أي صار من الكافرين بسبب امتناعه واستكباره .

قال الإمام الطبري - رحمه الله - (1/544) ، هاجر : " وهذا وإن كان من الله تعالى ذكره خيراً عن إبليس ، فإنه تقرير لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله ، والانقياد لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه ، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق . وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله ، والتذلل لطاعته ، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم ؛ اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبارهم الذين كذبوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم وصفته عارفين ، وبأنه لله رسول عالمون . ثم استكبروا - مع علمهم بذلك - عن الإقرار بنبوته ، والإذعان لطاعته ،

بغيا منهم له وحسدا . ففرعهم الله بخبره عن إبليس الذي فعل في استكباره عن السجود لآدم ، حسدا له وبغيا ، نظير فعلهم في التكبر عن الإذعان لمحمد نبي الله صلى الله عليه وسلم ونبوته ، إذ جاءهم بالحق من عند ربهم ، حسدا وبغيا "

{ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين }

(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) يقال زوجك وزوجتك ، وهي حواء . صح تسميتها بذلك في حديث متفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لولا بني إسرائيل لم يخنز اللحم ، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر " .

(الجنة) جنة الخلد

(وكلا منها رغداً) واسعاً كثيراً هنيئاً .

(حيث شئتما) أي : في أي مكان من هذه الجنة ، وفي أي وقت .

(ولا تقربا هذه الشجرة) أشار الله تبارك وتعالى إلى شجرة بعينها . والله أعلم بنوعها ولا يضرنا عدم العلم بها .

(فتكونا من الظالمين) أي : إنكما إن قربتماها بالأكل منها كنتما من الظالمين ، أي : الضارين بأنفسكما بالمعصية ، وأصل الظلم : وضع الشيء في غير موضعه .

{ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين }

(**فأزلهما الشيطان**) أي : أوقع الشيطان آدم وحواء في الزلل .

وفي قراءة { فأزالهما } : بمعنى ناهما ، أي : كان الشيطان سبباً في تنحيتهما .

(عنها) أي : عن الجنة .

(فأخرجهما مما كانا فيه) فأخرج الشيطان آدم وحواء من النعيم الذي كانا فيه .

أضاف الله الإخراج إلى الشيطان ؛ وإن كان هو المخرج لهما ؛ لأنه كان سبباً لخروجهما منها بوسوسته لهما .

قال الشنقيطي - رحمه الله - في " أضواء البيان " سورة طه : " وأعلم : أن في وسوسة الشيطان إلى آدم إشكالا معروفاً ، وهو أن يقال : إبليس قد أخرج من الجنة صاغراً مذموماً مدحوراً ، فكيف أمكنه الرجوع إلى الجنة حتى وسوس لآدم ؟

والمفسرون يذكرون في ذلك قصة الحية وأنه دخل فيها فأدخلته الجنة ، والملائكة الموكلون بها لا يشعرون بذلك ، وكل ذلك من الإسرائيليات . والواقع أنه لا إشكال في ذلك ، لإمكان أن يقف إبليس خارج الجنة قريباً من طرفها بحيث يسمع آدم كلامه وهو في الجنة ، وإمكان أن يدخله الله إياها لامتحان آدم وزوجه ، لا لكرامة إبليس . فلا محال عقلاً في شيء من ذلك . والقرآن قد جاء بأن إبليس كلف آدم ، وحلف له حتى غره وزوجه بذلك " .

(وقلنا) أي قال الله تبارك وتعالى .

(اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء وإبليس .

(بعضكم لبعض عدو) الشيطان عدو لآدم وحواء .

(ولكم في الأرض مستقر) يعني تستقرون فيها . فالمستقر في كلام العرب هو موضع الاستقرار .

(ومتاع) وتمتعون بها بما أعطاكم الله من النعم .

(إلى حين) إلى زمن معين وهو قيام الساعة ، وليس على الدوام .

{ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم }

(فتلقى آدم من ربه كلمات) تلقى : أخذ وقبل ؛ أي : فألقى الله لآدم كلمات توبة ، فتلقاها آدم من ربه وأخذها عنه تائباً .

(فتاب) الله (عليه) على آدم بقوله لها وقبوله إياها من ربه ، أي رفع الله عنه المؤاخذة وعفا عنه .

والكلمات هي قوله تعالى : { ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين } .

(إنه هو التواب) صيغة مبالغة ؛ أي كثير التوبة على عباده ، وتوبته على عباده تكون بتوفيقهم للتوبة وقبولها منهم .

(الرحيم) ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين .

تعريف التوبة : التوبة لغة ؛ هي الرجوع ، وشرعاً ؛ هي الرجوع من معصية الله إلى طاعته .

حكمها : واجبة على الفور ؛ لقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً } ، ولغير ذلك من الأدلة .

شروطها :

1. الإقلاع عن الذنب .

2. الندم على ما حصل .

3. العزم على أن لا يعود إلى الذنب .

4. أن تكون في وقت قبول التوبة وهو قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها .

5. رد المظالم إلى أهلها .

{ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون } .

(قلنا اهبطوا منها جميعاً) أي : آدم وحواء وإبليس كما تقدم ، وذريتهم .

(فأما) أي : فإن يأتيكم .

(مني هدى) الوحي الذي يوحيه الله إلى أنبيائه رسوله .

(فمن تبع هداي) أي : من أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل .

(فلا خوف عليهم) فيما سيلقونه في الآخرة ، فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله غير خائفين عذابه ؛ بما أطاعوا الله في الدنيا .

(ولا هم يحزنون) على ما فاتهم من أمور الدنيا .

{ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون }

(والذين كفروا) جحدوا آياتي ، وكذبوا رسلي .

(بآياتنا) وهي حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته ، وما جاءت به الرسل .

(أولئك أصحاب النار) أي : أهلها .

(هم فيها خالدون) أي : مخلدون لا يخرجون منها أبداً .

□